مجازر الثامن ماي 1945 في الجزائر من وجهة نظر ثلاث صحف إسبانية.

–أ ب ث، أوفينسيبا، لا بانغواردیا إسبانيولا–

أ.د /عبد الناصر عمر/قسم التاريخ/ جامعة 8 ماي 1945/ قالمة

abdelnassero@yahoo.fr

الملخص:

اهتمت الصحافة الاسبانية بالمجازر التي وقعت في الجزائر خلال شهر ماي 1945. في قراءتنا للصحافة الفرانكوية، وبصفة خاصة اليوميتين الهامتين، أ ب ث ولابانغواردیا إسبانيولا، إضافة إلى صحيفة لا أوفنسيبا التي تصدر بمدينة كوينكا، أدركنا الاهتمام الخاص الذي أولته هذه الوسائل الاعلامية لوضع الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الحرب العالمية الثانية، وبصفة خاصة بعد شهر فيفري 1943، ثم حددت اسباب انتفاضة الثامن من ماي 1945.هذا العمل تتبع كيفية تحليل وسائل الاعلامية الاسبانية المذكورة لأحداث 8 ماي، التي مالت في البداية إلى الطرح الفرنسي، وقد بنت كتاباتها على ما نشرته الحكومة أو الصحافة الفرنسيتين، وبصفة خاصة صحف اليسار على غرار جريدة لومانيتي. لكن، وبسبب الضغط الذي بدأ يمارسه الحلفاء على نظام الجنرال فرانكو، عدّلت الصحافة الصادرة بمدريد أو في غيرها من أراضي شبه الجزيرة الايبيرية نظرتها وتعليقاتها وتغطيتها لمجازر الثامن من ماي 1945 بالجزائر.

Summary :

Spanish newspapers, showed a particular interest in May 1945 massacres in Algeria. A thourough reading of Franquist newspapers, particularly the daily papers ABC and La Vanguardia espanola, together with the half-weekly Ofensiva,

which appeared in Cuenca, shows that these media were interested in the Algerian national movement during the Second World War, notably from February 1943 onwards. A close analysis of these papers articles about those events reveals that at the beginning they aligned themselves on the French officila position, as presented by the government and the media of the Left such as L'Humanité. However, their look on the events changed with the pressure the Allies exerted on the Franco regime between May and June 1945.

مقدمة:

اعتبر الثامن ماي 1945 يوم "عيد النصر" في أوروبا، حيث احتفلت فيه فرنسا وغيرها بنهاية الحرب العالمية الثانية، فكان ذلك موعدا للتعبير عن الفرحة بحلول السلام، إلا أنّ الجزائر التي كانت مقاطعة فرنسية في ذلك الوقت، عرف شعبها هجمة عنف شديدة قامت بها القوى الاستعمارية الفرنسية بمختلف مظاهرها، والتي ارتكبت مجزرة رهيبة راح ضحيتها الآلاف من الشهداء، تلك الحادثة تفاعلت معها أطراف عدة وعلى رأسها الصحافة الدولية. فكيف غطت وتفاعلت الصحافة الاسبانية مع هذه الأحداث في لحظة وقوعها، وماهي العوامل المتحكمة في توجيه مواقفها وتحليلاتها؟

1- نظرة عامة حول الصحافة الاسبانية وتغطيتها لمجازر 8 ماي 1945:

في دراستنا هذه لا يمكن تسليط الضوء على جميع ما كتبته كل الصحافة الاسبانية عن سير الأحداث وتبعاتها، لأن هذا الجانب البحثي واسع جدا بسبب التنوع وغنى الساحة الصحفية الاسبانية بمختلف توجهاتها أثناء حكم النظام الفرانكوي

[1] الذي فرض على وسائل الإعلام رقابة شديدة بفضل قانون 2 أفريل 1938 الذي استمدت مواده الثلاثة والعشرين من قانوني الاعلام النازي والفاشي، لكن في فترة الستينيات من القرن الماضي منحت لتلك الصحافة نوع من الحرية النسبية، لتعيش في الحرية التامة بعد وفاة الجنرال فرانكو سنة 1975.[2]

وعليه سنقتصر في هذا المقال على دراسة ثلاثة صحف هامة، أولها هي جريدة **أ ب ث**(ABC) بنسختيها المدريدية و الإشبيلية، أما الصحيفة الثانية فهي **أوفينسيبا** (Ofensiva) النصف الأسبوعية التي تحولت في الخمسينيات إلى يومية وهي تصدر بمدينة كوينكا (Cuenca) على بعد مائة وسبعين كيلومتر تقريبا شرق العاصمة مدريد، والجريدة الثالثة هي لابانغواردیا إسبانيولا (La Vanguardia Española) الصادرة ببرشلونة.

لقد أشارت جميع الصحف الاسبانية التي اطلعنا عليها، إلى مجريات أفعال الرعب العسكري الذي عاشه الجزائريون لمدة شهر كامل ابتداء من 1 ماي 1945 إلى اليوم الثامن من الشهر نفسه بمدن سطيف، قالمة وخراطة وغيرها.

2- الصحف أ ب ث، أوفنسيبا ولابانغواردیا إسبانيولا ومجازر 8 ماي 1945 بالجزائر:

1.2- صحيفة أ ب ث(ABC)[3] وبداية الاحداث:

صدر فيها أول نبأ عن الأحداث يوم 13 ماي، وذلك نقلا عن مراسل وكالة إيفي [4](EFE) من باريس، ويعود هذا التأخر في انتشار الخبر حول ما يجري

في الجزائر إلى الحصار الذي فرضته السلطات الاستعمارية وغلاتها في الجزائر بحجبهم للعمل الإجرامي الممارس في سطيف وقالمة وخراطة وغيرها من المناطق، أثناء مواجهة آلة الحرب الفرنسية للمظاهرات السلمية التي قام بها الجزائريون، حيث وصف البلاغ الاستعماري الصادر عن الحكومة العامة الفرنسية في الجزائر يوم 10 ماي، تلك المسيرات المطالبة بحقوق الجزائريين في السيادة والتحرر، "بالأعمال الهتلرية"، لأن عنوان بلاغ الحاكم العام جاءت صياغته كالآتي: "في سطيف، عملية فاشستية يوم عيد النصر"، أما مضمون تلك النشرية الاستعمارية التي لفقت التهم للجزائريين من أجل إخفاء جرائمها فقد ارتبط بالأضاليل التي اعتادت ترويجها السلطات الاستعمارية.[5] ذلك البلاغ نشرته في باريس صحيفة لومانيتي [6](L'Humanité) الشيوعية يوم 11ماي 1945 دون أن تضيف إليه أدنى تعليق، وفي يوم غد 12 ماي، أوردت نفس الصحيفة في طياتها مقالا تحت عنوان " بعد أحداث سطيف، إلى أين سنذهب بالجزائر".[7]

أول خبر نشر في إسبانيا عن أحداث 8 ماي بالجزائر كان مصدره الرئيسي وكالة إيفي، حيث ورد في جريدة أ ب ث في شكل نص صغير، لأنّ وكالة الأخبار الإسبانية لم تأخذ بما روّجته لومانيتي، وذلك نظرا لموقف الجنرال فرانكو ونظامه من الشيوعية ووسائلها الدعائية، فحمل نص الخبر المغالطات التي نشرتها الحكومة العامة الفرنسية في الجزائر عما وقع في مدينة سطيف قبل بضعة أيام، لأنّ الصحفي أكد في إرساله استمرار "الاضطرابات" التي وقعت حديثا بمقاطعة قسنطينة، مؤكدا كذلك على أنّ العصابات الجزائرية المسلحة يقودها عناصر ينتمون إلى حركة أحباب البيان والحرية

التي يقودها فرحات عباس. ثم فصّل في أسباب تسمية هذه المنظمة السياسية التي عرفتها الحركة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية.[8] ومما جاء في الصحيفة:

"هذه الاحداث تعد نقطة الأوج للاضطرابات العديدة التي عرفتها مؤخرا كل مقاطعة قسنطينة حيثما تقع سطيف وتم إثارتها من طرف عناصر البيان. أصل هذه التسمية هو البيان الذي قدمته المجموعة التي يقودها فرحات عباس إذ طالبوا باستقلال الجزائر الأمر الذي أدى إلى اعتقال هذا الأخير بأمر من الحاكم العام آنذاك"[9]

الخبر الذي نقلته صحيفة "أ ب ث" الاسبانية كان نقلا عن وسائل الإعلام الفرنسية في باريس، إذ حمل عبارات لم تفصل شيئا في سير المجازر بعد خمسة أيام من بدايتها، بل مجرد دعاية روّجها عن الأحداث الحاكم العام الفرنسي ووسائل الاعلام الاستعماري الذين فرضوا تعتيما اعلاميا حول تلك المجازر ولم يفش الواقع الاجرامي الذي فرض على الجزائريين منذ أول ماي 1945، إذ يقول في هذا الشأن الفرنسي ألان روسيو، الباحث في تاريخ الجزائر المستعمرة، " فالحكومة العامة حمّلت المسلمين كل المسؤولية في الاضطرابات التي وقعت، وهذا طرح سخيف ومرفوض" حسب ما نقله عن الصحيفة الشيوعية.[10]

كان وصف الأحداث في أ ب ث مقتضبا ومرتبطا بشكل النص القصير المعبّر عنها، والذي جاء تحت عنوان "عصابات مسلحة من المسلمين تقتحم مدينة سطيف وتخلف العديد من القتلى." ثم أضاف هذا النص المجزأ إلى أربعة فقرات بأنّ هؤلاء المسلحين استهدفوا المعمرين الأوروبيين واليهود القاطنين في المدينة، كما أشار إلى أسباب الأحداث والمسئولين عنها مثلما أبرزناه أعلاه، وأخيرا خلُصَ الخبر إلى

تأكيد التعتيم والأضاليل التي سوقتها أجهزة الدعاية الفرنسية في قوله أنّ "حزب البيان" يتمتع بدعم مالي هام! وأن أحباب البيان " في مواجهتهم جميع التجمعات السياسية الأخرى في البلد سواء كانت أهلية أو فرنسية."[11]

2.2- صحيفة أ ب ث وتطور الأحداث:

بمرور بضعة أيام عن بداية المظاهرات وما تبعها من قمع وحشي من طرف السلطات الفرنسية، انتشرت أخبارها ووقائعها في فرنسا خاصة، وذلك بناء على ما نشرته صحف الحزب الشيوعي الفرنسي وعلى رأسها جريدة لومانيتي (L'Humanité) حول ما يجري في الجزائر من اجرام وأعمال عنف،[12] الأمر الذي جعل الاعلام الاسباني يسعى للتعرف عن قرب على حقيقة ما يجري في الجزائر، إذ أوفدت وكالة إيفي مراسلا لها إلى الجزائر، ونفس الأمر اهتمت به جريدة أ ب ث التي أوفدت مبعوثا لها إلى باريس حيثما أعطى للموضوع أهميته.

في 23 ماي 1945 نشرت هذه الصحيفة الاسبانية ثاني مقال لها عن الأحداث التي عرفتها الجزائر، لكن بنظرة جديدة مخالفة تماما لما جاء على لسانها قبل عشرة أيام. فوكالة إيفي أسرعت صحفيا لها إلى مدينة الجزائر، من حيث كان يرسل تقاريره إلى مدريد، فقد ورد أنّ في اليوم المشار إليه أعلاه، حرر مقالا متوسط الحجم ومن خمسة فقرات على هيئة النصوص التواصلية. لقد عنونت إيفي نصها الاخباري عن الأوضاع في الجزائر بـ " الأحداث ما بين الأوروبيين والوطنيين الجزائريين لها أهمية خطيرة- Los sucesos entre europeos y nacionalistas argelinos tienen grave importancia"،[13] وهنا نلاحظ الاعتراف

الضمني من طرف محرر هذا المقال والنظام الفرانكوي ككل بالواقع الاستعماري في بلادنا وذلك من خلال إشارته إلى وجود أوروبيين ووطنيين جزائريين.

نص إيفي الوارد من مدينة الجزائر قبل يوم من نشره في صحيفة أ ب ث بعدديها الصادرين في كل من العاصمة مدريد وفي مدينة إشبيلية، لم يشمل إلا زيادة طفيفة في نسخة عاصمة إقليم الأندلس، إذ أكدتا الطبعتين على استمرار الأعمال الدموية في الجزائر، حيث أشارتا إلى كل من "بلاد القبائل، سطيف، البليدة وقالمة"، بين الوطنيين الجزائريين والأوروبيين، كما ذكرت عدد الضحايا الذين حددتهم بـ "ثلاثة ألاف قتيل" في صفوف المعمرين، وعشرة ألاف قتيل في صفوف الجزائريين الذين وصفتهم بـ "الأهالي-Indígenas".[14] وبعد التضخيم في عدد ضحايا المعمرين أبرز الصحفي السبب الرئيسي لكل تلك "الاضطرابات" حسب وصفه، إذ أكد على أمر واقعي وهو "رغبة العناصر الوطنية الجزائرية في التحرر"، وكذا الأوضاع المزرية التي يعيشها الجزائريون جراء حالة المجاعة المنتشرة في صفوفهم، وكذا الرغبة في الانتفاضة التي يغذيها نمو تأثير العناصر اليهودية، إضافة إلى الحملة التخريبية التي تدفعهم لمواجهة المعمرين الأوروبيين.[15]

بالنسبة للوسائل التي استعملت للقضاء على ما ذكرته الصحيفة بالاضطرابات سمحت السلطات الاستعمارية باستعمال كل امكانياتها العسكرية، من القوات البحرية والجوية والبرية، فقد قصفت البحرية الفرنسية سواحل بجاية، في الوقت الذي قنبلت فيه الطائرات أقاليم قالمة وسطيف، أما اللفيف الرابض في نواحي سيدي بلعباس فقد تم تحويله إلى "مناطق الصراع" في مقاطعة قسنطينة التي ظلت منقطعة عن أي اتصال.[16]

هذه المعطيات التي دونها مراسل وكالة إيفي ونشرتها كل الصحف الاسبانية، تبرز لنا الجيش العرمرم الذي حشدته فرنسا للانتقام من الجزائريين الأبرياء الذين خرجوا في مظاهرات سلمية مطالبين إياها الوفاء بوعودها التي قطعتها عليهم. يظهر ذلك في وصفه للمسيرة التي عرفتها مدينة سطيف، إذ أشار إلى حمل الجزائريين للافتات دوّنت عليها شعارات وطنية، وقد وصفها بـ "الانفصالية" ثم تتبع تطور الأحداث في جمل مقتضبة مؤكدا العملية القمعية التي تبعت المظاهرات.[17]

مع ذلك، فالمقال الصادر يوم 23 ماي – في الطبعة المدريدية- من مراسل الجريدة بباريس سيظل أهم ما حملته جريدة أ ب ث في تغطيتها للحرب الاستعمارية المسلطة على الجزائريين، وذلك لعدة اعتبارات. أولها يتمثل في الأهمية التي أولتها الصحيفة لما يجري في الجزائر من أحداث وتطورات، إذ جاء الكتاب تحت عنوان: " ABC en Paris, el problema argelino – أي، أ ب ث في باريس، المشكل الجزائري."[18] أما في بدايته فقد أشار إلى التناقض الذي وقعت فيه الأطراف الفرنسية في الميتروبول بخصوص "أحداث الجزائر"، فوزارة الداخلية الفرنسية أعلنت عن عودة الأمن وفرض النظام، في الوقت الذي واصلت فيه بعض الصحف الفرنسية نشر أخبار عن استمرار العملية القمعية الانتقامية وسقوط مائة قتيل حسب ما أعلنته السلطات الفرنسية، إلا إنّ الصحيفة الاسبانية أفندت حصيلة عدد الضحايا المشار إليها رسميا في باريس، حيث كذّبها الصحفي بقوله:

" حسب المعلن عنه رسميا من وزارة الداخلية الفرنسية، فإنّ أحداث الجزائر قد انتهت وتم فرض النظام. حسب طرف في الصحافة الباريسية، فالعمليات القمعية

مازالت متواصلة. أما حصيلة مائة قتيل، التي ذكرتها السلطات، فهي بعيدة عن حقيقة الواقع."[19]

بعد ذلك عاد صاحب المقال لتحديد دوافع الأحداث، حيث حددها في ثلاثة أسباب رئيسية وعميقة، إذ أرجعها إلى زمن بعيد، مذكرا بالواقع الاجتماعي والاقتصادي السيء للجزائريين، وهي الحالة التي أشارت إليها الأعداد السابقة لنفس الجريدة. لكن المراسل أصرّ على اعتبار الأوضاع المزرية التي عاشها الجزائريون قد كانت سببا رئيسيا في تلك الأحداث. إذ كتب:

" الأمر المؤكد وفي جميع الحالات، فإنّ ما بين تفسير وتفسير آخر لأحداث سطيف وبويلمة[20](Puelma) [كما وردت] فإن المشكل الاجتماعي والسياسي يظل مستمرا، أما جذوره فهي عميقة وتعود إلى الماضي البعيد."[21]

السبب الثاني حدده الصحفي في المجال السياسي، ووصفه بالأخلاقي أيضا "otro problema de carácter político y moral" مشيرا إلى انشقاق الطبقة السياسية الفرنسية بين مؤيد ومعارض للإصلاحات التي استهدفت تحسين أوضاع الجزائريين، وكذا انتقاد السياسيين الفرنسيين الكبار لبعضهم البعض، وأخيرا دخول جيش الحلفاء إلى الجزائر... ثم قال: " فكل ذلك أدى إلى ضياع مجد فرنسا بصفة حتمية."[22]

السبب الثالث عسكري، مرتبط بمشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الثانية، وبعيدا عن الصيغة التقليدية التي يحلل بها هذا العامل الذي كان من دوافع انتفاضة الثامن ماي 1945 بمدن وأرياف الجزائر، فإنّ صحفي أ ب ث قال من باريس: "

ومن جهة أخرى، فإنّ الأهالي الذين شاركوا بطريقة جد فعالة في الحرب مع دفعهم لكلفة باهضة فقد أصبحوا يشكلون الأغلبية في جيش الجنرال لوكليرك (Gal Leclerc)...لهم اليوم طموحات كبيرة..."[23] بعيدة عما كانوا يأملون فيه قبل خمس سنوات، أي الاندماج التدريجي في المواطنة الفرنسية كما نص عليه مشروع بلوم فيوليت، الشيء الذي عادت الحكومة الفرنسية لدراسته بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنّ تلك السياسة قد تجاوزها الجزائريون، الأمر جعل الأديب ألبير كامو يكتب في صحيفة لو كومبا (Le Combat) معبرا عن ذلك الرفض الجزائري للاندماج قائلا: "يرفضون ذلك بعدائية أو بتجاهل." [24]

بعد هذا العرض التحليلي لأسباب التحول في المطالب الوطنية للجزائريين، عاد صاحب المقال إلى الظروف التي ظهر فيها البيان الجزائري في فيفري 1943، كما قدّم لمحة مقتضبة عن قائده فرحات عباس، ثم حدد مطالب البيان مشيرا إلى تجنب محرره الحديث عن الانفصال التام للجزائر عن فرنسا، إذ أشار إلى إدراك عباس للرفض المسبق الذي ستواجهه به السلطات الاستعمارية. في الختام خلص مراسل الجريدة إلى تشخيص المشكل الجزائري في الدوائر الفرنسية لذلك الظرف، فمن جهة هناك وجهة نظر حكومية مبنية على الحفاظ على الأمن، ومن الجانب المقابل وجهة نظر يسارية التي تسعى إلى استغلال معاناة السكان، وكل واحدة من وجهتي النظر تلك، ترتكز على قوة توجيهية نفسية كبيرة للإنسانية: الخوف، الذي يعد العامل الأقصى لفرض الأمن، والمجاعة التي تشكل أكبر قوة ثورية. والتلاعب بكلا القوتين يؤدي إلى نفس الخطر.[25]

الصحافي كاتب المقال ركز في الخاتمة على الطرف الفرنسي وكيف تعاملت مختلف وجهات النظر الفرنسية مع الواقع الجزائري، وحتى إن لمح إلى خطر فرض الأمن بالقوة أو استغلال الأوضاع الاجتماعية الصعبة للشعوب من أجل ضمان السيطرة عليها، فإنّه لم يشر صراحة إلى دور العنصر الجزائري في تحديد وجهات النظر تلك. مع ذلك فالكاتب وظف كثيرا معارفه حول الأوضاع الاجتماعية السيئة لاسبانيا وكذا رغبة كل طرف من الجناحين المتصارعين (الجمهوريين والوطنيين) في فرض النظام بالقوة قبل 1936، وبذلك، كان للمجاعة والخوف أثرا كبيرا في اندلاع حرب أهلية مدمرة في إسبانيا.

3.2- في صحيفة أوفينسيبا (Ofensiva):

جريدة نصف أسبوعية تصدر في مدينة كوينكا (Cuenca) التي تبعد بحوالي مائة وسبعين كيلومتر شرق مدريد، لقد غطت كالكثير من الصحف الاسبانية الأحداث التي وقعت بالجزائر ما بين شهري ماي وجوان من سنة 1945. ورد فيها أول خبر عن تلك المجازر يوم 13 ماي ، وذلك مرتبط بالأسباب التي ذكرناها سابقا.

جاء تعليقها عن تلك الأحداث في خبرين رئيسيين مصدرهما وكالة إيفي، فالأول ورد تحت عنوان "أعمال شغب دموية في المغرب الفرنسي (En en Marruecos francés) وأسفله عنوان فرعي يتحدث عن "تأسيس منظمة تطالب باستقلال الجزائر، والملفت في العنوان المدون بالبنط العريض والذي كان حول المغرب الأقصى، فإنّ المضمون كان حول الجزائر بصفة شاملة، مع اختلاف طفيف لما حملته صحيفة أ ب ث الصادرة في نفس ذلك اليوم.[26]

الخبر الثاني كان أكثر أهمية، إذ جاء تحت عنوان "الآثار العدوانية للسلامBelicosos efectos de la paz" الأمر الذي يثير التساؤل، لأنّ المصدر هي وكالة إيفي، ومكان الارسال هي مدينة الجزائر، علما أنّ صحيفة أ ب ث لم تشير إلى ذلك، ورغم عدم تحديد مصطلحات النص لأطراف النزاع إلا أنّ المستهدف من العنوان فهو الطرف الجزائري، لذلك نقلنا كل نص الخبر حتى تتضح الفكرة.

" الجزائر 12- لقي حوالي خمسين شخصا حتفهم في مختلف المناطق بناحية قسنطينة الجزائرية، وذلك نتيجة لأعمال الشغب المرتكبة في يوم "V" [النصر]. الشرطة أعادت النظام وألقت القبض على القادة. إيفي"[27]

في 3 جوان من نفس السنة، صدر في أوفينسيبا مقال آخر مصدره وكالة إيفي من مكتبها بمدينة طنجة في شمال المغرب الأقصى، تحت عنوان رئيسي " كذلك في الجزائر -También en Argelia" وذلك كتواصل للعرض الذي قدمته عن أحداث العنف التي عرفتها سوريا على يد القوات الفرنسية والانجليزية في نهاية شهر ماي وبداية جوان 1945.[28]

العنوان الفرعي لهذه الأحداث تمثل في "فوضى بسبب أحداث قسنطينة وعداء لفرنسا Revuelo por los sucesos de Constantina y hostilidad contra Francia" ثم أشارت إلى حالة الاحتقان الشديدة السائدة في أوساط الشعب الجزائري الذين وصفتهم بالأهالي، ونفس الحالة يعيشها كل من المغرب الفرنسي وتونس الشيء الذي أثار مخاوف انتشار الصراع، لكنها ركزت

أكثر على الجزائر، مشيرة إلى " الغليان الكبير وإزدياد الأعمال المعبرة عن رفض الواقع السائد..."[29]

الملاحظ في هذا العدد، أنّ الصحافة الاسبانية بدأ موقفها يتشدد اتجاه سلطات باريس ويظهر ذلك في الاشارة لتنامي العداء للوجود الفرنسي في شمال إفريقيا، كما ذكّرت الصحيفة بالاحتقان السائد في "المغرب الفرنسي" أي عكس ما يعيشه المغرب الاسباني "الهادئ". والسبب في ذلك هو اتضاح موقف الحلفاء الرافض للنظام الفرانكوي القائم في اسبانيا، والتحركات الدولية بمناسبة التحضير لانعقاد المؤتمر التأسيسي لهيئة الأمم المتحدة قد أظهرت معاداة حكومة الجنرال فرانكو وعلى رأس تلك الدول فرنسا والمكسيك،[30] والتحفظ الذي أظهرته الصحافة الاسبانية من الأحداث المناوئة لفرنسا كانت كلها تهدف إلى كسب باريس وبقية الحلفاء.

4.2- في صحيفة لابانغواردیا إسبانيولا (La Vanguardia Española):

نشرت الخبر كغيرها لأول مرة يوم 13 ماي 1945، وهو النص الوارد من وكالة إيفي، ولم تحدث فيه أي تغيير.[31] أما المقال الذي وجدناه ذو أهمية كبيرة فقد صدر يوم 3 أوت 1945، وذلك يعود إلى المعلومات التي حملها والإشارة الواضحة التي تعبر عن التعامل الجديد للسلطات الفرانكوية عما يجري في الجزائر المستعمرة الفرنسية. جاء الخبر في الصفحة المخصصة للعالم الخارجي بعنوان "في إفريقيا الفرنسية- الوطنية في الجزائر.[32] En el África francesa- Nacionalismo en Argelia" وكاتبه هو العسكري السابق توماس غارثيا فيغيراس (Tomas

(García Figueras)الذي يوقع كتاباته الصحفية باسم مستعار هو بيال دي مورلا(Vial de Morla).[33]

بدأ دي مورلا مقاله بـ " تعلمون قراء لبانغواردیا ما المقصود بالأحداث الخطيرة التي حصلت بمقاطعة قسنطينة في الجزائر، حيث بلغت ذروة أحزانها بمجازر خطيرة في سطيف خلال النصف الأول من شهر ماي الفارط. وكنتيجة لها، وآخذين بعين الاعتبار بأنّ الجزائر مقاطعة فرنسية، قررت حكومة ديغول، وبعد سماعها لملف الحاكم العام للجزائر، إيف شاتينيو (Yves Chataigneau)[34]، إرسال وزير الداخلية أدريان تيكسييه (Adrien Tixier)، حتى يقوم بتحقيق عن أسباب ونتائج تلك الأفعال."[35]

بعد ذلك انتقل إلى سرد الاجراءات الفرنسية التي تبعت ذلك، متحدثا عن القرارات التي اتخذها الجنرال ديغول لفرض سيادة فرنسا من جديد على الجزائريين، والأهم فيما ذكره بيال دي مورلا هو تأكيده على وقوع مجزرة في سطيف ونواحيها. أما عن أسباب الأحداث حسب ما ورد في تقرير وزير الداخلية الفرنسي أنذاك أدريان تيكسييه فقد أضاف دي مورلا " تقرير تيكسييه لقي نجاحا في تسليطه الضوء بشكل دقيق على أسباب الأحداث، التي لفقت، دون أدنى شكل للقادة الوطنيين والانفصاليين المسلمين الجزائريين. الوصول إلى هذه النتيجة الواضحة مهم جدا الآن ويعد ذلك شيئا مألوفا، وبصفة خاصة في الجزائر نفسها..."[36]

المتمعن في هذه العبارات يدرك جيدا درجة الاطلاع التي تمتع بها بيال دي مورلا حول الموضوع، وذلك بعد انقضاء شهرين فقط عن المجازر التي ارتكبتها

السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خلال شهر ماي وبداية جوان من سنة 1945. أما الاستنتاجات التي توصل إليها فهي مرتبطة بمعارفه حول شمال إفريقيا والمجتمعات المغاربية، إذ تقلد العديد من المسؤوليات العسكرية والسياسية والتربوية في المغرب الأقصى الخاضع للحماية الاسبانية وفي مدينة طنجة التي وضعت تحت الإدارة الدولية، وأغلب كتاباته ومؤلفاته (حوالي 300 مؤيف) مرتبطة بالإرث التاريخي بين شمال إفريقيا وإسبانيا في الفترة الإسلامية وما بعدها.[37]

بعد حديث بيال دي مورلا عن المجازر وأسبابها حسب ما ذكره تقرير تيكسييه، فإنّه أرجع ذلك إلى سبب رئيسي وهو "الانحلال السياسي الداخلي الفرنسي"، ثم أضاف عن الوضع الذي عاشته الجزائر بسبب صراعات جماعات المصالح في الدولة الفرنسية، فقال عن ذلك: "كل هذا النزاع الشرس والصغير الطموحات يعد عملا هداما للسكان الأهالي المسلمين، وقد تم استغلاله كذلك من طرف الأحزاب المتطورة الشيوعية. الشعب الجزائري، ومن خلال هذه الحملة الممنهجة الانفعالات، ذات السمعة السيئة، والنزاعات الضارية، يخضع لرقابة السلطات، للملاك الكبار، للتجار، للمزارعين، ويَنظُر إلى الجميع على أنهم مضاربين في الجوع السائد ومنع العامة من أي نظام... انهم يتحدثون[المسلمين] عن القضاء بالقوة على الذين يقومون بذلك. "[38]

كتاب دي مورلا قدم تحليلا واقعيا لما كان يعيشه الشعب الجزائري في تلك الفترة، وبعد أن أضاف في تحليله للواقع السياسي الجزائري خلال الحرب العالمية، أي منذ نزول الحلفاء في شمال إفريقيا في نوفمبر 1942، قدم الكاتب الخطوط العريضة لحركة أحباب البيان والحرية، كما أشار إلى دور حزب الشعب الجزائري في عمله

النضالي وتأثيره على المجتمع الجزائري، ثم عاد ليقول عن الأحداث أنها إنذارا لفرنسا، ومثيرة لانتباهها على الأقل، بأنّ الحركة الوطنية الجزائرية في وقتها الحالي يمكن أن تؤدي إلى أحداث أكثر خطورة من التي عرفتها في سطيف.[39]

3- العوامل المتحكمة في التعاليق الصحفية الاسبانية ما بين ماي وأوت 1945:

لقد رأينا مما سبق ذكره أنّ تعامل الصحافة الاسبانية –حسب العينة التي اخترناها- مع المجازر التي عرفتها سطيف وقالمة وخراطة وغيرها من مناطق الجزائر قد تطور ما بين 13 ماي 1945 و 3 أوت 1945. ذلك الأمر تحكمت فيه جملة من المعطيات التي تعود إلى موقف كل طرف من الآخر(فرنسا- إسبانيا) خلال الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939) والحرب العالمية الثانية.

ففي الحرب الأهلية الإسبانية كانت الجمهورية الفرنسية الثالثة والحكومات التي عرفتها في نهاية عهدها موالية للجمهورية الاسبانية الثانية على حساب حركة التمرد(Pronunciamiento) التي أعلنها الجنرالات انطلاقا من المغرب الأقصى، ذلك الانقلاب شكل طرفا محاربا عرّف بالحركة الوطنية.[40]

الموقف الفرنسي هذا اعتبره الفرانكويون أمرا معاديا لهم، وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية أعلن الجنرال فرانكو أنّ إسبانيا "دولة محايدة " بمرسوم حكومي يوم 4 سبتمبر1939، لكن عندما اكتسح الجيش الألماني باريس، أعلن فرانكو يوم 12 جوان 1940 "إسبانيا دولة غير محاربة " أي أنها تميل إلى المحور.[41] ثم وقع لقاء هنداييه على الحدود الفرنسية الاسبانية بين هتلر والجنرال فرانكو حيثما تباحث

الرجلان نضمام إسبانيا إلى صف المحور مقابل ضم كل المغرب الأقصى، الغرب الجزائري، الشيء الذي اعتبره الفرنسيون طعنة خنجر في الظهر.[42]

أمام الأوضاع الجديدة التي فرضها الحلفاء في ساحة الحرب عاد الفرانكويون إلى الحياد في سنة 1943، فمارس عليهم الانجليز والأمريكيين ضغوطات جعلت النظام القائم في مدريد يستجيب لجميعها وذلك في إطار بحث الجنرال فرانكو عن مخرج لمواقفه السابقة. أما فرنسا المعادية إيديولوجيا وتاريخيا للنظام القائم في إسبانيا فقد أرغمتها (المجلس الفرنسي للتحرير الوطني(CFLN)) أوضاعها الاقتصادية السيئة لعقد اتفاق تجاري مع مدريد، وذلك متناقض مع تضامنها مع اللاجئين الجمهوريين الاسبان إليها، الذين أظهروا تعاطفهم الفعال مع فرنسا في سنين "المقاومة" للنازية.[43]

هذا الوضع الجديد اعتبره الفرانكويون فرصة للبحث عن السبل التي تجعلهم يتأقلمون مع الوضع الجديد، لأن التحركات الدولية وعلى رأسها فرنسا لإدانة النظام الفرانكوي "كمحارب معنوي في صف المحور" بدأت تلوح في الأفق، وذلك في جلسات المؤتمر التحضيري لتأسيس هيئة الأمم المتحدة المنعقد بسان فرانسيسكو الأمريكية ما بين 25 أفريل و26 جوان 1945، حيث اقترحت المكسيك عدم قبول العضوية في الهيئة الجديدة " لحكومات الدول التي وصلت إلى الحكم بتأييد من المحور" والمقصود بذلك هي اسبانيا.[44]

الدول المجتمعة أقرت هذا المقترح في 19 جوان، ثم إقصاء إسبانيا من الساحة الدولية كان في 2 أوت 1945 بمؤتمر بوتسدام من طرف الثلاثة الكبار، ورغم غياب فرنسا عن ذلك الاجتماع إلا أنّ دورها كان كبير في اشتداد الخناق على النظام

الفرانكوي الذي أدين من طرف هيئة الامم المتحدة في 12 ديسمبر 1945 بدعوة دول العالم لسحب سفرائها من مدريد، ليعيش نظام فرانكو عزلة دولية لا مثيل لها ما بين 1945-1951.[45]

لذلك كله كانت لغة الصحف الاسبانية مهذبة في التعامل مع قضايا الجارة ما وراء البيرينييه مابين شتاء وبداية ربيع 1945، وبصفة خاصة في المشاكل التي تعترض فرنسا في شمال إفريقيا، لتتغير لغة تلك الصحافة بعد العشرين من شهر جوان 1945، ولتزداد حدة بعد 2 أوت. والمقال الذي نشره بيال دي مورلا حول مجازر سطيف يوم 3 أوت 1945 يعد كجواب للإدانة التي حصلت في بوتسدام قبل يوم من ذلك.

الخاتمة:

هذه الدراسة نستخلص منها النتائج الآتية:

- الصحافة الاسبانية كانت لسان حال للنظام الفرانكوي القائم في مدريد، وكانت وسيلته الرئيسية للدعاية والتعبير عن أفكاره وتوجهاته في الداخل والخارج بحكم الرقابة التي فرضت عليها منذ 1938.

- تغطية مجازر ماي 1945 بالجزائر من طرف الصحافة الاسبانية اعتمد في البداية عن وكالة الأخبار الإسبانية إيفي وكانت في شكل فقرات مقتضبة مصدرها الأساسي وسائل الاعلام الفرنسية.

– تشديد اللهجة اتجاه فرنسا بدأت حينما بلغت مدريد أخبارا بأنّ الادانة الدولية قائمة لا محالة للدكتاتورية الفرانكوية التي وصلت إلى الحكم بمساعدة النازيين والفاشيين.

الإدانة التي وقعت يوم 2 أوت 1945 أعادت إحياء مجازر 8 ماي 1945 بالجزائر في نفوس الفرانكويين ومن أمثلة ذلك ما نشره العسكري السابق توماس غارثيا فيغيراس في جريدة لابانغورديا إسبانيولا يوم 3 أوت 1945. مع ذلك، فهذا لا يأخذ عليه، بل يعد عملا قيما وتصرفا منصفا للضحايا الجزائريين الذين سقطوا أمام الإجرام والوحشية الفرنسية آنذاك، وهو الشيء الذي ذكره ونشره أمام الرأي العام العالمي في قوله: " الشعب الجزائر، ومن خلال هذه الحملة الممنهجة الانفعالات، ذات السمعة السيئة، والنزاعات الضارية، أصبح يعيش وضعا صعبا الذي أثر على الصحة الاجتماعية." وقد جاءت هذه العبارات المؤثرة على الصيغة الآتية في اللغة الاسبانية:

> "El pueblo argelino, a través de esta compaña metódica de pasiones, de descredito, de luchas encarnizadas, llega a vivir un ambiente viciadísimo que afecta a la salud social."(46)

الاحالات:

(1)- هذا النظام مرتبط بالشخص الذي أسسه، الجنرال فرانسيسكو فرانكو باهاموندي(Francisco Franco Bahamonde) الذي سيطر على قيادة الحركة الوطنية (El Movimiento Nacional)المناوئة للجمهورية الاسبانية الثانية أولا، ثم استيلائه على

مقاليد الحكم في كامل اسبانيا ثانيا. يحدد الدارسون بداية هذا النظام في 1 أكتوبر 1936 وانتهى بوفاة الجنرال فرانكو على رأس كرسي الحكم في إسبانيا يوم 20 نوفمبر 1975. أنظر بالتفصيل:

–عبد الناصر عمر، إسبانيا الفرانكوية والثورة الجزائرية 1954–1962، (أطروحة دكتوراه)، غير منشورة، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، 4 أفريل 2017، ص. 56–59

–Françoise Peyregne, L'Espagne de XXe siècle : Le franquisme, (Ed. Ellipses, Paris, 2000), 127 p.

(2)– خضعت الصحافة الاسبانية للرقابة الشديدة بقانون 2 أفريل 1938 الذي نص على اعتبار " الصحافة دعامة للدولة، وهي الجهاز الحاسم في تكوين الثقافة الشعبية وبلورة الرأي العام، ولا يمكن تصور استمرار حياة الدوريات على هامش الدولة."

–Estado Español, Boletín oficial, Núm. 550, 24 de abril de 1938, pp. 6938-6940

أما الصحافيين فهم أعوان لديها (الدولة) وملزمين بتدوين أسمائهم في السجل الرسمي للصحافيين(Registro Oficial de los Periodistas) واستمر ذلك إلى 18 مارس 1966 حيث عرف ذلك القانون تعديلا طفيفا، لتتحرر الصحافة الاسبانية تماما بعد وفاة الجنرال فرانكو في 20 نوفمبر 1975 إذ خضعت البلاد للنظام الملكي البرلماني الدستوري.

-**Guy Hermet**, "La Pesse espagnole depuis la suppression de la censure", Revue française des sciences politiques, 18 Année N°1, France, 1968, pp. 44-67

(3)- تأسست هذه الجريدة بمدريد في 1 جوان 1905 من طرف الدون توركواتو لوكا دي تينا(Don Torcuato Luca de Tena)، ومنذ أن ورث ابنه إغناثيو (Ignacio) إدارة الجريدة بعد وفاة الأب في سنة 1929 أصبحت تصدر أيضا في اشبيلية (الموطن الأصلي للعائلة)، الصحيفة يومية اخبارية يمينية تدافع عن اسبانيا الملكية الموحدة والكاثوليكية، ومازالت على خط تحريرها التأسيسي مدافعة عن هذه المبادئ إلى غاية اليوم. انظر بالتفصيل:

-**Juan Carlos Rodríguez Centeno**, "Periodismo y propaganda: el ABC de Sevilla en la guerra civil", in **Antonio Checa Godoy**, ABC de Sevilla: un diario y una ciudad; análisis de un modelo de periodismo local, (Ed. Universidad de Sevilla, Imp. Pinelo Talleres Gráficos, Sevilla, 2007), p. 105-116

(4)- **إيفي**: وكالة الأخبار الإسبانية، تأسست في 03 جانفي 1939 بمدينة بورغوس (Burgos) من طرف رامون سيرانو سونيير (Ramon Serrano Suñer) ومانويل أثنار ثوبيغاري (Manuel Aznar Zubigary). أنظر:

Justino Garrido Sinova, La Censura de prensa durante el franquismo, (Ed. Espasa Calpe, Madrid, 1989), p. 52

(5)-**Alain Ruscio**, "Les Communistes et les massacres de constantinois (mai-juin 1945)", Vingtième siècle ; Revue d'histoire, N°94, (deuxième trimestre, Paris, 2007), p. 222

(6)-تأسست جريدة لومانيتي الفرنسية في 18 أفريل 1904، واستمرت على النهج الاشتراكي إلى غاية 1921، لتتبنى النهج الشيوعي.

[https://humanite.fr/le-18-avril-1904-naissance-de-lhumanite-611966] consulté le 26/04/2017.

(7)- **Alain Ruscio**, op., cit.

(8)- Periódico **ABC**, diario español, Edición de Sevilla, N° 13027, de 13 de mayo de 1945, p. 7

(9)-Ibíd.

(10)- **Alain Ruscio**, op., cit., p. 222

(11)-Periódico **ABC**, Edición de Sevilla, de 13 de mayo de 1945, óp., cit.

(12)-**Alain Ruscio**, op., cit., pp. 222-229

(13)-Periódico **ABC**, diario español, Edición de Sevilla, N° 13033, de 23 de mayo de 1945, p. 7

(14)- Ibíd.

(15)-Ibíd.

(16)- Ibíd., p. 8

(17)- Ibíd.

(18)- Periódico **ABC**, diario español, Edición de Madrid, N° 12 241, de 23 de mayo de 1945, p.12

(19)-Ibíd.

(20)- يقصد بها قالمة

(21)-Periódico **ABC**, de 23 de mayo de 1945, op., cit.

(22)- Ibíd.

(23)-Ibíd.

(24)- Ibíd.

(25)- Ibíd.

(26)- **Ofensiva**, Bisemanario, año IV, N°309, Cuenca, domingo 13 de mayo de 1945,p.8

(27)- Ibíd.

(28)-Ibíd.,p.6

(29)- Ibíd.

(30)- **Javier Tussell**, La oposición democrática el franquismo 1939-1962, (Ed. RBA Libros, Barcelona, 2012), p. 91

(31)- Periódico **La Vanguardia Española**, diario español, domingo 13 de mayo de 1945, p.6

(32)- **La Vanguardia Española**, diario español, viernes 3 de agosto de 1945, p.7

(33)-توماس غارثيا فيغيراس (1892-1981)، ولد ببلدة خيري ثدي لا فرونتيرا (Jerez de la Frontera)بالقرب من مدينة قادش(Cadiz) جنوب الأندلس. عسكري إسباني من الجناح المعروف بالإفريقيين. يوقع كتاباته باسمه الحقيقي وأحيانا أخرى باسم مستعار " بيال دي مورلا" هذا الأخير استعمله خاصة في كتاباته التي لها علاقة بالتاريخ وثقافات العالم العربي-الاسلامي. أنظر بالتفصيل:

-**Roció de Velasco Castro**, "De periodistas improvisados a golpistas consumados: el ideario militar africanista de la Revista de Tropas Coloniales (1924-1936)", El Argonauta español. Revue digitale, bilingue, franco-espagnole, d'histoire moderne et contemporaine, N° octobre 2013 Url: https://argonauta.revues.org/1590, consulté le 01/05/2017.

(34)- حاكم عام للجزائر ما بين 8 سبتمبر 1944 و11 فيفري 1948.

(35)- **La Vanguardia Española**, diario español, viernes 3 de agosto de 1945, op., cit.

(36)- Ibíd.

(37)-**Enrique Gozalbes Cravioto**, "El Africanismo del primer franquismo: La Revista África (1942-1956)", La Revista Miscelánea de Estudios Árabes y Hebraicos (MEAH), Sección Árabe-Islam, N° 64, Universidad de Granada, 2015, pp. 149-168

(38)- **La Vanguardia Española**, diario español, viernes 3 de agosto de 1945, op., cit.

(39)-Ibíd.

(40)- التمرد أعلن يوم 17 جويلية 1936 في المغرب الأقصى من طرف الجنرالات: خوسي سان خورخو(José San Jurjo) الذي كان بمنفاه في لشبونة، إميليو مولا(Emilio Mola) قائد القطاع العسكري لمقاطعة نابارا شمال شرق اسبانيا، وفرانسيسكو فرانكو قائد القطاع العملياتي العسكري لجزر الكناري. أنظر:

-**Aline Angoustures**, Histoire de l'Espagne au XXe siècle, (Ed. Complexe, Paris, 1993), pp. 154-158

(41)- **José R**. **Díaz Gijón y Al**., Historia de España actual 1939-2000, Autoritarismo y democracia, (Ed. Marcial Pons, Madrid, 2001), p. 86-87

(42)- **Joaquín Bardavio**, El reino de Franco; biografía de un hombre y su época, (Ed. BSA, 1ra edición, Barcelona, 2015), pp. 199-202

(43)- **Anne Dulphy**, "Las relaciones bilaterales Francia-España: antecedentes históricos", in: Hacia el nacimiento de eje "franco-español" qué se juega la Europa de la defensa?, bajo la dirección del general Jean-Paul Peruche, Ed. Ministerio de la Defensa, Madrid, noviembre 2012, p. 18

(44)- **Roció Velasco de Castro**, "La internacionalización del protectorado de España en Marruecos: Reivindicaciones Nacionalistas Y Aspiraciones Españolas En El Marco De La Posguerra Mundial", Norbat, Revista de Historia, Vol. 20, España, 2007, pp. 161-172

(45)- **Henry Marchat**, « La France et l'Espagne pendant la période de protectorat au Maroc (1912-1956), Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N° 10, France, 1971, pp. 81-109

(46)- **La Vanguardia Española**, diario español, viernes 3 de agosto de 1945, op., cit.